وساءت منه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله
فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة
رسوله وإصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال
بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام وقرأ
ابن مسعود يسالونك الانفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال
فإن قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الأنفال
لله والرسول قلت معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر
الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس
الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي اقتضته
حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل
الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا
يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما
بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم
وكونوا متحدين متآخين في الله وأصلحوا ذات بينكم وتآسوا و
تساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح
بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا
وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **فإن قلت** ما حقيقة قوله ذات
بينكم قلت أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال
ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما
كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني
ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب وقد جعل التقوى وإصلاح

ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم
أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله إن كنتم مؤمنين
إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله إنما المؤمنون إشارة إليهم
أي إنما الكاملو الإيمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه
قوله أولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء
الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قال
فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له
وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه
وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر
الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن
يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح
وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم إيمانا
ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى
للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي
هريرة الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها
إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز
إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل
الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان وعلى ربهم يتوكلون
ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه
جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال
الجوارح من الصلاة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف

أي فينتهي عنه ويستحي له

Copyright King Saud University